بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى الأمين، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى جميع أصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله أحب من عباده العلماء، واصطفاهم واجتباهم ورثة للأنبياء، وزادهم من الخير والبر حتى صاروا من الأتقياء السعداء، وأثنى عليهم في كتابه بجميل الوصف وجليل الثناء، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ أسكن في قلوبهم خشيته، ونشر بألسنتهم دينه وحكمته، فما أعظم فضل الله عليهم، وما أجل منته لديهم، كم أحيا الله بهم من قلوب ميتة، وهدى بهم من أمم ضالة، العلماء مصابيح الدجى وأنوار الهدى، بهم يُهتدى ويقتدى بعد المصطفى ﷺ، العلم فضل من الله عظيم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ العلم بصيرة ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يبصر أهله الحق من الباطل، فتتميز لهم الأمور وتنشرح لهم بإذن الله الصدور، ويكونون أسلم ما يكونون من الهوى والغي والشرور، العلم حكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وإذا أراد الله بعبده خيراً شرح صدره للعلم، فاطمأن قلبه بكلام الله وسنة رسول الله –ﷺ–، وصدق النبي –ﷺ– إذ يقول : ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) ومعنى ذلك أن الله إذا أراد بعبده خيراً علمه وفهمه، حتى يفقه عن الله –ﷻ–، العلم رحمة فما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده . العلم سبيل الجنة فمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، قال بعض العلماء : قوله : ((سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) أن الله يعصمه من الذنوب والخطايا، فيحفظه ويوفقه للطاعة والهدى، فلا يزال على خير وبر حتى ينتهي به علمه إلى الجنة، وقال بعض العلماء : ((سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) أي: أن الله –ﷻ– لا يعسر عليه طريقه وسبيله حتى إذا اجتاز على الصراط مر بدون أن يضر حتى ينتهي إلى الجنة، فكلها فضائل محمودة وغايات كريمة مشهودة، يسمو إليها الأخيار، ويطمع في بلوغها الأبرار، لكن هذه المنزلة

العظيمة والمرتبة الشريفة الكريمة لا تكون إلا لمن شرح الله صدره، ونور قلبه فأعطى للعلم حقه، ووفاه قدره . لا يكون العلم نعمة حقيقية إلا إذا أدى صاحبه حق الله –جَلَّالِهُ–، وأعظم هذه الحقوق الإخلاص لوجه الله –سبحانه– ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ العلم يراد به وجه الله، ويبتغى به حبه ورضاه، ولا تُلتمس به الدنيا فمن طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليجادل به العلماء فليتبوأ مقعده من النار، ومن تعلم العلم لكي يرائي به أو يسمع به سَمَّعَ الله به يوم القيامة، ومن رائى رائى الله به يوم القيامة، قال بعض العلماء : أي أن الله يقيمه على رؤوس الأشهاد ويفضحه بسوء نيته –نسأل الله السلامة والعافية–، وأول خلق الله تُسعر بهم نار جهنم ثلاثة فيهم عالم عرفه الله نعمته، وذَكَّره فضله ومنته فشهد بنعمة الله، واعترف بمنة الله فقال الله : ماذا عملت لي ؟ قال : تعلمت لأجلك، وعلمت من أجلك، فقال الله : كذبت، وقالت الملائكة : كذبت، إنما تعلمت ليقال : فلان عالم وقد قيل : اذهبوا به إلى النار . العلم الذي يخلص فيه صاحبه، العلم الذي أخلص صاحبه فيه لوجه الله علم مبارك، علم نافع ينال العبد خيره في الدنيا والآخرة، ويجد بركته وفضله في الدنيا والآخرة، فمن نظر الله إلى قلبه أنه يريد وجهه بهذا العلم وفقه، وسدده وشرح صدره، ومازال له من الله معين وظهير يعينه على طاعة الله، ويسدده على طريق الله حتى ينتهي إلى جنة الله .

يا طالب العلم إذا خرجت من بيتك فاخرج وليس في قلبك إلا الله، وإذا جلست في حلق الذكر فاجلس وأنت ترجو ما عند الله، ليس أي شيء سواه، لا تبتغي بهذا العلم ما عند الناس، فما عند الله يبقى وما سواه يبلى ويفنى . من نعم الله على طالب العلم وهي أول أمارات العلم النافع إذا أخلص لله ظهرت آثار إخلاصه، وظهرت آثار صدقه مع الله عَجَّلَ، فشرح الله صدره بهذا العلم، فانتفع واهتدى وهدى، وكان من أئمة الرضا، والله –تعالى– يقول في كتابه : ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ قال بعض العلماء : ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي الإخلاص وإرادة وجهه الكريم ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾. العلم عبادة والعبادة لا تصح إلا بنية خالصة لوجه الله –سبحانه– ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ قال شيخ الإسلام –رحمه الله– : بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، هو الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه، إخلاص الدين لله إخلاص العبادة وإخلاص القول والعمل، ومن أخلص في هذا العلم قوله وعمله أحبه الله –عَجَّلَ–، ولما نظر الله في قلوب الأئمة والعلماء والأخيار الصلحاء من سلف هذه الأمة الصالح أنهم أرادوا وجهه وفقهم وسددهم وأبقى في الناس حبهم، وأبقى علومهم نافعة وهي بين يدي الله

يوم القيامة شافعة، فإذا لقي العبد ربه يوم يلقاه وقد مضى إلى مجالس العلم وجلس فيها يرجو رحمة الله كانت له شاهدة بين يدي الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنه يريد وجهه، وأنه يريد ما عنده، فكانت كلمات صدق يرفعها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لعبده حتى يريها وينشرها أمام عينيه لكي يوفى جزاء ما كان منه من إحسان، فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يمن علينا بالإخلاص لوجهه، وأن يجعلنا ممن صدق وابتغى ما عنده سبحانه، لهذا الإخلاص علامات وأمارات تظهر في طالب العلم، ومن أعظمها : أن الإنسان كلما تعلم انتفع بعلمه، فأول أمارات الإخلاص وعلاماته أن الإنسان يجد لعلمه بركة وأثراً، فما يتعلم سنة إلا عمل بها، وطبقها واهتدى بهديها، إن كانت قولاً قاله، وإن كانت عملاً عمل به، فكان ذلك من أصدق الدلائل على إخلاصه لله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهذا هو العلم النافع الذي سأل النبي -ﷺ- ربه أن يكرمه بهذا العلم النافع، وأن يعيذه من ضده وهو العلم الذي لا ينفع، فقال : ((اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يُسمع، ومن علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع)) فسأل الله أن يعيذه من العلم الذي لا ينفع، فأول أمارات الإخلاص أن المخلص لوجه الله ينتفع بهذا العلم، ولذلك قال بعض العلماء : اعمل بالحديث ولو مرة تكن من أهله، فمن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وقال بعض السلف : هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل . فمن عمل بعلمه كان عمله دليلاً على إخلاصه لوجه الله -جَلَّ جَلَالُهُ-، أحبه الله وأحب منه الإخلاص، فطيب قوله وعمله حتى يزيده منه قرباً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، والعكس بالعكس فمن انصرف عن الله أزاغ الله قلبه، ومن أراد بهذا العلم غير وجه الله -جَلَّ جَلَالُهُ- طمس الله بصيرته، وجعل هذا العلم وبالاً عليه، فلا يهتدي ولا يصلح ولا ينتفع ولا يقتدي ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ نسأل الله العظيم أن يعيذنا من هذا الزيغ وأن لا يجعلنا من أهله . فإذا عمل طالب العلم بالعلم كان بذلك قدوة للناس، وإمام هدى يدعو إلى سنة النبي -ﷺ- ولو لم يتكلم، وكم من عامل بالسنة داعٍ إليها بدون أن يتكلم، فإن من بركة هذا العلم إذا عمل به صاحبه أن يجعله الله قدوة للناس، فكم من أناس أحبوا السنة لما رأوا أهلها عاملين بها، وكم من أناس أحبوا الخير لما رأوا الأخيار سباقين إلى طاعة الله، مشمرين في محبة الله ومرضاته .

أما الدليل الثاني والعلامة الثانية التي تدل على إخلاص العبد لله -عَزَّ وَجَلَّ- : وضع الله -عَزَّ وَجَلَّ- القبول للعبد، فإن الإنسان إذا أراد وجه الله ووطن طالب العلم نفسه بالإخلاص لله -عَزَّ وَجَلَّ- من أول لحظة فإن الله يوفي له، ولا أوفى من الله، فالله يفي لعبده وكلما كان العبد يخلص لوجه الله -جَلَّ جَلَالُهُ- وفى الله له بحسن العاقبة، ووفى الله له بحسن الأثر ووضع القبول، وكم من أئمة من السلف الصالح وضع الله لعلومهم وكتبهم ومواعظهم، وما ألفوا للمسلمين من الخير العظيم، والنفع العميم ما لا يعلمه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وكلما نفدت

كتبهم طبعت وأعيدت ونشرت وأصبح كلامهم كأنه نقش على صفحات الصدور، وكل ذلك من آثار الإخلاص لله -جل جلاله- .

أَلف الإمام مالك -رحمه الله- الموطأ فألف الناس الموطآت، فقالوا : يا أبا عبدالله كثرت الموطآت! فقال: "ستعلمون ما أريد به وجه الله" وإذا بنا اليوم لا نجد إلا موطأ الإمام مالك، فلا نعرف موطأ غير موطئه، وهذه كلمة عظيمة منه وصدق الإمام الحسن البصري إذ يقول: "لا يزال الرجل بخير إذا قال قال لله، وإذا عمل عمل لله".

الوصية الثانية لطلاب العلم بعد الإخلاص: الأدب في طلب العلم، فإن الله جَمَّل طلاب العلم وجعل لهم حلية يتميزون بها، وصفات كريمة يتحلون بها؛ لأن من طلب الخير فإن الله يظهر آثار ذلك الخير، فالأمور تسمو بغاياتها، فلما كان المطلوب عزيزاً شريفاً كريماً كان طالبه عزيزاً شريفاً كريماً، طالب العلم حقيق به إذا سلك طريق العلم أن يتذكر قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع)) وهذا يدل على أنه لا يصنع إلا الخير، ويدل على أن أخلاقه الكريمة وآدابه الجليلة العظيمة تُنبئ وتشير إلى سمو غايته وعظيم هدفه، فلذلك خليق بطالب العلم أن يتحلى بتقوى الله -عز وجل-، وأن يتخلق بأخلاق السلف الصالح -رحمة الله عليهم-، أن يكون كما كان الأخيار يهتدي بهديهم، ويقتدي بهم حتى يجمل العلم به ويشْرف ويكون كما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم والهدى، ولذلك قال الخضر لموسى قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال له هذه الكلمة لما قال له موسى : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أجابه الخضر : ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ ، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ نبي في هذه المنزلة الكريمة، وفي هذا المقام الكريم يقول للخضر : ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فإذاً خليق بطالب العلم أن يتأدب وأن يتحلى بالحلية الفاضلة، وقد أدب الله صحابة نبيه -رضي الله عنهم-، أدبهم وهم جلوس مع النبي -صلى الله عليه وسلم- يحدثهم ويعلمهم ويفقههم ويوجههم، فأدبهم الله بأحسن الآداب، وجملهم على أجمل ما يكون عليه الطلاب، وذلك من فضل الله -سبحانه وتعالى- عليهم، كانوا إذا جلسوا في مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا حدثهم أنصتوا، وإذا تكلم أطرقوا، قال أنس: "كأن على رؤوسهم الطير". وهذا مثال بليغ يدل على السكينة وعلى الوقار، إذا تأدب طالب العلم بآداب العلم فإن الله ينفعه بعلمه، وينتفع الناس بعلمه، لأنهم يرون الآثار الكريمة منه، تدل على فضل غايته وسمو هدفه، فيحبونه ويكرمونه ويجلونه، ومن أكرم العلم يُكرم، ومن أهانه يهان،

ولذلك من لازم الأدب في طالب العلم أن يتأدب طالب العلم مع الأئمة والعلماء، لاسيما السلف الصالح للأمة من العلماء السابقين، الأئمة المهديين الذين بلغوا هذا الدين وقاموا بحقه، ووفوا له قدره فبلغوا عن رسول الله -ﷺ- هديه . السلف الصالح والأئمة الأخيار والصفوة الأبرار من سلف هذه الأمة لهم علينا حق عظيم، إذا ذُكروا أن يُترحم عليهم، وهذا من الأدب الذي أدب الله به أهل الإسلام عموماً، وهو في حق العلماء آكد ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ فتذكرهم وتترحم عليهم، وإذا ذكرت العلماء فقلت: "قال العلماء -رحمهم الله-" ترحمت على ألوف وقد تترحم على الملايين فتُكتب في ميزان حسناتك، الترحم على العلماء والسلف الصالح الأتقياء هذه سنة وشعيرة كان يتخلق بها العلماء، حتى في كتبهم ومؤلفاتهم وهي عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يترحمون على السلف الماضي ويذكرونهم بالجميل، ولذلك قال صاحب العقيدة الطحاوية: "والسلف الصالح من الماضين من الصحابة والتابعين أئمة الخير والأثر والفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل". أي: من ذكرهم بالسوء فحط قدرهم وانتقص من شأنهم فإن الله يحط من قدره، وينقص من شأنه، والله -جل وعلا- لا يظلم عبده شيئاً، فمن أحسن أحسن الله إليه، ومن وفى لهؤلاء الأخيار وفى الله له، ولا شك أنهم من الخير بمكان، والله -جل وعلا- اختار لهذه الأمة سلفاً أي سلف حفظوا هذا الدين، وبلغوه على أكمل ما يكون عليه التبليغ من رجل أمين، السلف الصالح لهم حق كبير علينا، ولذلك يترحم الإنسان عليهم كلما ذكرهم، ويشيد بمآثرهم الكريمة، ويحيي فضائلهم الجليلة حتى يكون على هديهم ونهجهم، فيسلك سبيلهم ويحشره الله في زمرتهم، قال ﷺ : ((من أحب قوماً حشر معهم)) وانظر إلى طلاب العلم فمن وجدته يجل السلف الصالح ويترحم على العلماء ويذكر السلف الصالح بالخير وجدت القبول له، وانشراح الصدر وتيسير الأمر، ووجدت آثار إحسانه في قوله وعمله، ومن وجدته -والعياذ بالله- ينتقصهم ويذمهم ويحقرهم وينسى فضلهم وجدته على خلاف ذلك، وجدته قاسي القلب غافلاً عن ذكر الله، لا ينتفع بعلمه إلا قليلاً، والله -جل وعلا- يجزي المحسن على إحسانه، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان، ولا يظلم ربك أحداً، فنسأل الله العظيم أن يرزقنا حبهم، وإجلالهم وإكرامهم، وأن يمن علينا فيحشرنا في زمرتهم، كذلك أيضاً الأدب مع العلماء الأحياء فلهم حق كبير علينا، ممن لهم فضل على الإنسان، فهؤلاء هم الذين يسدون ثغور الإسلام، فالله أعلم كم من طالب علم علموه، وتائه عن سبيل الرشد أرشدوه، وحائر عن صراط الله دلوه، الله أعلم بما يحمله العلماء من أمانة عظيمة، ومسؤولية جليلة كريمة، لا يعلم

مقدار بلائهم فيها إلا الله -جَلَّ جَلَالُهُ-، مثل هؤلاء خليق بهم أن يحبوا، وأن يكرموا وأن يذكر ما لهم من الفضل على الإسلام والمسلمين، وأن يشاد بما لهم من الخير فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أمرنا بالعدل، والله يقول : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ وليس هناك أحد كامل والله -تعالى- يقول: ﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فإذا كان العلماء ممن هم على نهج السلف الصالح من المتمسكين بكتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الحريصين على الدعوة إلى ذلك، والقيام بحق العلم فمثل هؤلاء يحبون في الله، ويكرمون ويجلون وتُحفظ علومهم، وتُنقل فتاويهم، ويُتأدب معهم، ولذلك قال بعض العلماء في قوله -تعالى- : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ قالوا : الشعائر جمع شعيرة، وهي كل ما أشعر الله بتعظيمه، فإذا أُكرم العلماء أكرم الدين، وإذا أُهين العلماء أهين الدين، ولذلك إذا نزعت ثقة الناس من العلماء من الذي يُسأل ؟ ومن الذي يستفتى ؟ وأين يُطلب الحق؟ وكيف يرتدع الناس عن الغي إذا نزعت ثقة العلماء من قلوبهم؟ فلذلك خليق بطالب العلم إذا أراد أن يسلك سبيل العلم أن يذكر هذا الأدب وأن يحافظ عليه، وأن يحفظ للعلماء حقوقهم حتى يكون بخير المنازل، وطوبى لطالب علم وفقه الله -عَزَّ وَجَلَّ- فأصاب من آداب العلم أكملها وأجملها وأفضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

الوصية الثالثة: ضبط العلم وإتقانه، فالعلم أمانة ثقيلة وعبء عظيم يحتاج من صاحبه التحمل، ولذلك قال الله لنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ولما أراد الله أن يوحي إلى نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخذه جبريل فغطه حتى رأى الموت، وقال له : اقرأ، قال : ما أنا بقارئ، فأخذه وغطه حتى رأى الموت، فأرسله ثم قال : اقرأ، قال : ما أنا بقارئ، قال بعض العلماء : أخذه جبريل فغطه حتى رأى الموت هذا يدل على أن العلم لا ينال إلا بعد العناء والتعب والنصب، ولذلك لما أراد الله أن ينبه على فضيلة العلم، وأنه يحتاج إلى تعب ونصب وتضحية جعل موسى -عليه الصلاة والسلام- يرتحل إلى الخضر ويسافر إليه، ويجد المشقة والعناء وقال : ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ فوجد النصب والتعب في سبيل بلوغ هذا العلم، فالعلم لا يُنال بالتمني ولا بالتشهي، ولكن يُنال بفضل ذي العزة والجلال، ثم بالتعب والنصب والكلال ومواصلة السهر، حتى ينال العبد أفضل منازل العلم وأشرفها ومراتبه، ومن قدم اليوم الثمن العزيز الغالي في طلبه للعلم فإن الله يوفي له، فاعلم أنك في كل خطوة تخطوها في طلب العلم، وفي كل لحظة تعيشها في طلب العلم أنك مبتلى، فتأتيك السآمة ويأتيك الملل، وقد يأتيك تخذيل الشيطان فيقول لك : من أنت حتى تطلب العلم؟ ومن أنت حتى تصير عالماً؟ ومن أنت..؟ فقل: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

ٱلۡعَظِيمِ﴾ ليس العلم محجوراً على جنس، ولا على أمة ولا على لون، ولا على قبيلة ولا على غني ولا ثري، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، سبحان من علم آدم وداود وفهم سليمان، سبحان من بيده الحكمة يؤتيها من يشاء، سبحانه فهو فضل الله –جَلَّ جَلَالُهُ– فيحتاج منك أن تبذل التعب والنصب في تحصيل هذا العلم، وكلما كان طالب العلم مجداً مجتهداً مثابراً كلما وضع الله له العاقبة الحميدة في طلب العلم، واقرأ في سير العلماء من سلف هذه الأمة السلف الصالح فإنك تجدهم كلما قرأت سيرة عالم مُبَرز وجدته تمتاز سيرته بالعناء والتعب والسفر، والتغرب عن الأوطان والأهل والولدان، ورؤية شدائد الدنيا ومعاينة الفقر والجوع وغير ذلك من الضنك، والبلاء الذي لا يعلمه إلا الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، فلما ضحى وفى الله له، ولذلك وصى العلماء بالصبر على العلم والتحمل، ولذلك تأتي المسائل وتأتي الأقوال وتتفرع هذه المسائل وتتفرع الأقوال فتحدث عند طالب العلم السآمة والملل، وتأتي الشواغل شواغل الدنيا وتأتي فتنة المال والأهل والولد لكي تصرف طالب العلم عن الانتفاع بالعلم، فيضحي ويجد ويجتهد حتى يري الله منه الجميل والعمل الصالح الجليل، والتضحية الصادقة والعزم على الخير والصدق في هذه العزيمة على الرشد؛ فحينئذ إذا بذل ذلك وفى الله له، ومن لازم هذا ضبط العلم وإتقانه عند التحمل، فيحفظ طالب العلم كل صغيرة وكبيرة، وإذا مرت بك أي مسألة فافهمها، وإذا لم تفهمها فاسأل ولا يمنعك الحياء، ولا الخجل ولا الكبر أن تسأل، فإن ابن عباس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قيل له : كيف أصبحت عالماً ؟ قال: "إنه كان لي لسان سؤول وقلب عقول". فمن سأل علم خاصة إذا كان يحفظ ويضبط ما يقال له، فاسأل عن كل ما تجهله، واضبط كلما يقال لك، ولا تقل : هذه مسألة غريبة، وهذه مسألة عجيبة وقد لا أُسأل عنها، فقد يأتي زمان يأتيك ما لم يكن لك في الحسبان، ولذلك ينبغي على طالب العلم أن يوطن نفسه على طلب كل صغير وكبير في العلم، ولذلك إذا فعل طالب العلم هذا وعى وكبر في علمه، وجل في قدره، نسأل الله العظيم أن يجعل لنا ولكم في ذلك أوفر الحظ والنصيب .

من الأمور المهمة التي ينبغي لطالب العلم أن يراعيها: البحث عن القرين الصالح في طلب العلم، فطلاب العلم يحتاجون إلى قرين صالح، يشد من الأزر في طاعة الله؛ لأن التعب والنصب في طلب العلم يحتاج إلى من يؤازر ويعين ويناصر، ولذلك قال الله عن نبيه موسى : ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ فسأل الله أن يجعل له أخاه هارون لماذا ؟

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ لما شد به أزره، فخليق بطالب العلم أن يبحث عن قرين صالح، وهنا ننبه على أن طلاب العلم ينبغي أن ينتشر بينهم الحب والود في الله -جَلَّ جَلَالُهُ-، والعلم رحم بين أهله يجمع بين طلاب العلم على اختلاف أنسابهم وأحسابهم وألوانهم، يجمعهم على كلام الله وكلام رسوله -ﷺ-، وهذا الوحي المبارك، فإذا اجتمع أهل الدنيا على الدنيا وتآلفوا وتراحموا وتحابوا وتصافوا فإن أهل الحق أولى بذلك كله، أولى أن تكون بينهم المحبة والصفاء، والمودة والنقاء وأن تكون بينهم وشائج الإخاء، فإذا لم تتحقق الأخوة الإيمانية بين طلاب العلم فأين تتحقق، فإذا لقيت إخوانك من طلاب العلم تحرص على السنة من إفشاء السلام، والبشاشة في وجوههم، وحسن الظن بهم، وحملهم على طاعة الله، وأمرهم بما أمر الله ونهيهم عما نهى الله عنه، ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه تبارك رب العالمين . أما بالنسبة لدرسنا والذي نسأل الله العظيم أن يعيننا وإياكم عليه، وأن يجعله خالصاً لوجهه، موجباً للفوز برضوانه . اخترنا أن يكون في سنة النبي -ﷺ- ولا شك أن الناس بحاجة إلى معرفة الأحكام، والعلم بالحلال والحرام حتى يعبدوا الله على بصيرة، وإذا كان الإنسان على علم بسنة النبي -ﷺ- وهديه فإنه أولى الناس بالخير إذا عمل بتلك السنة وذلك الهدي، ولذلك أولى الناس بالنبي -ﷺ- الذي يتبعه، ومن اتبعه -صلوات الله وسلامه عليه- أصابته الرحمة والهدى، فاخترنا أن يكون في سنة النبي -ﷺ- وفي علم خاص وهو علم الفقه، المشتمل على الأحكام من عبادات ومعاملات، وما يتبع ذلك من التفاصيل والفروع، واخترنا كتاباً لإمام من الأئمة الأخيار الذين كان لهم الشأن العظيم في علم السنة، وهو الإمام الحافظ أبو محمد عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور بن رافع المقدسي، هذا الإمام الجليل سنختار من كتبه كتاب عمدة الأحكام، والإمام عبدالغني من أئمة الحديث وهو حافظ من كبار الحفاظ، ديوان من دواوين العلم والعمل، ولد رحمه الله سنة إحدى وأربعين بعد المئة الخامسة من الهجرة، وكانت نشأته في بيت علم وصلاح، اشتهر بالعلماء والصلحاء الأتقياء، ومن أشهر علماء هذا البيت: الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، صاحب كتاب المغني، والذي يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه-: "ما دخل الشام بعد الأوزاعي أعلم من الموفق". نشأ - رحمه الله - نشأة صالحة، ثم أقبل على العلم من الصغر، وهذا من فضل الله -جل وعلا- عليه، فحفظ كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولزم شيخه الإمام يوسف بن آدم الدمشقي، وتتلمذ عليه في أول أمره، ثم اختار الرحلة في طلب الحديث فتغرب عن الأوطان، وفارق الأهل والولدان لمرضاة الرحمن، فتعب ونصب وجد واجتهد، فسافر إلى بغداد والتقى بحفاظها وفقهائها وعلمائها، ثم سافر إلى أصبهان والتقى حفاظها وعلماءها

وأجلاءها، ثم سافر إلى مصر في رحلتين أخذ عن عالم جليل وإمام عظيم وهو أحمد بن إبراهيم أبو طاهر السلفي، حافظ زمانه وشيخ أوانه، كان إماماً مبرزاً في علم الحديث، فأخذ عنه حتى ذكروا عنه أنه أخذ عنه أكثر من ألف جزء في حديث رسول الله -ﷺ-، ثم كذلك لا زال في طلبه للعلم فأخذ عن العلماء المبرزين، ومن أشهر من أخذ عنهم الإمام الحافظ إسماعيل المكي القرشي الزهري العوفي، أخذ عنه علم الحديث والرواية، ثم كذلك أخذ عن الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي الإمام الحافظ المحدث الفقيه المشهور الواعظ، أخذ عنه أيضاً علم الفقه والحديث، وهذا الإمام بعد أخذه للحديث نبغ في ذلك حتى ذكر أنه كان يحفظ أكثر من مئة ألف حديث عن رسول الله -ﷺ-، وهذا بتعدد الطرق والروايات - كما هو معلوم -، كان يحفظها رحمة الله عليه، ومن غرائب المسائل أن رجلاً حلف على امرأته بالطلاق أن الحافظ يحفظ أكثر من مئة ألف حديث، فارتفعوا إليه هل يحنث في حلفه فتطلق امرأته أو لا ؟ فقال : لا يحنث، وهذا يدل على سعة حفظه وما وهبه الله -جل جلاله-، ولما بلغ من العلم مبلغه فتح الله له من أبواب رحمته، فأقبل على نفع المسلمين، فعقد مجالسه النافعة لرواية حديث رسول الله -ﷺ-، ووضع الله له القبول بين العباد، فكان محبوباً بين الناس وكانت له السجايا الكريمة التي ساعدت بفضل الله -عز وجل- على حبه، وحب العلم منه والانتفاع بالسنة وأخذها منه - رحمة الله عليه -، كان يصلي الفجر ثم يجلس لرواية حديث رسول الله -ﷺ-، وتلقين القرآن حتى تطلع الشمس، ثم يقوم يصلي حتى تكون القائلة فيقيل قائلة الضحى، ثم يصلي الظهر ثم يصلي ويتنفل حتى يؤذن العصر، ثم بعد ذلك يتفرغ لرواية الحديث حتى قبيل المغرب يدعو بفطوره فيفطر إن كان صائماً، وكان - كما ذكرت كتب التراجم والسير - كان كثير الصيام — رحمة الله عليه- كثير الصلاة، حتى ذكروا عنه أنه كان يصلي من النوافل أكثر من مئة ركعة في اليوم، ثم إذا صلى المغرب جلس لرواية حديث رسول الله -ﷺ-، ثم يصلي العشاء وينصرف إلى بيته، ويصيب الطعام ثم ينام ولا يأتي منتصف الليل إلا وهو قائم بين يدي الله يتهجد، حينما وفقه الله فجمع له بين العلم والعمل، وهذه نعمة من الله عظيمة، وقل أن يوفق الإنسان لقيام الليل إلا بارك الله له في وقته وعلمه، وبارك له في عمله . هذا الإمام العظيم وصفه العلماء بالإمامة، وأجمعت كتب التراجم والسير على أنه الإمام الحافظ الكبير، ولذلك حتى وصفه بعضهم بأنه منتهى الحفاظ من كثرة ما حفظ -رحمة الله عليه-، وأثنى عليه الذهبي في السير وأثنى عليه الحافظ ابن كثير وغيرهم من الأئمة، ولم تر العيون مثله مما كان عليه من الضبط والإتقان، والتفاني في تعليم سنة رسول الله -ﷺ-، ومع هذا كانت له الآداب الكريمة، والسجايا الجليلة، كان محبباً إلى عباد الله، موطأ الكنف يألف ويؤلف، بعيداً عن العنف، قريباً إلى اللين واللطف،

يأخذ الناس فيملكهم بحسن معاملته، قبل أن يملكهم بحسن بيانه –رحمة الله عليه–، وضع الله له القبول فكانت سجاياه كريمة، لا يعنف طلابه ولا يؤذيهم، وكان على السماحة ولين الجانب وتوطئة الكنف، حتى أقبل الناس عليه وأحبوه، وكان سريع الدمعة كثير الخشية لله –ﷻ–، وربما حدث بالحديث عن رسول الله –ﷺ– فبكى وأبكى، فما أطيب السنة إذا تكلم بها رحمة الله عليه، وكان مع هذا مجداً في تعليم الطلاب وتأليف التآليف، وكتابة التصانيف حتى كتب أكثر من ستين مؤلفاً في حديث رسول الله –ﷺ– والأحكام، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، واشتهر بالدعوة إلى الخير حتى وافاه أجله عام ستمائة من الهجرة، نسأل الله العظيم أن ينور له في قبره، وأن يفسح له فيه وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير ما جزى عالماً عن علمه، وحامل سنة عن حمله، وكتابنا الذي اخترناه كتاب عمدة الأحكام كتاب اختاره هذا الإمام الجليل من سنة رسول الله –ﷺ–، واختار من هذه السنة أصحها وأقواها، وذلك مما اتفق عليه الشيخان، فأعلى الأحاديث وأقواها ثبوتاً ما اتفق عليه الشيخان، كما أشار إلى ذلك صاحب الطلعة –رحمة الله عليه– بقوله :

أعلى الصحيح ما عليه اتفقا فما روى الجعفي فرداً ينتقى

فمسلم كذاك بالشرط عرف فما لشرط غير ذين يكتنف

فقوله : "أعلى الصحيح ما عليه اتفقا" فاختار أعلى الصحيح وأقواه ثبوتاً، ولذلك اعتنى رحمة الله عليه باختيار ما اتفق عليه الشيخان ووفق في اختيار أحاديث الأحكام، فشمل اختياره أحاديث العبادات والمعاملات، ولقد وفق رحمة الله عليه توفيقاً كبيراً في حسن الاختيار، فكان يختار أهم الأحاديث التي تنبني عليها الأحكام، وأهم الأحاديث التي دار عليها خلاف العلماء –رحمة الله عليهم–، ولذلك كان كتابه عمدة كما وصفه، فهو عمدة في الأحكام لاشتماله على أحاديث رسول الله –ﷺ– التي استند إليها في تقرير الأحكام، وبيان الحلال والحرام من العبادات والمعاملات، كما يمتاز هذا الكتاب بالاختصار، فلم يتوسع في اختياره –رحمة الله عليه– وإنما اقتصر على أهم أحاديث الأبواب، ثم كذلك الدقة في التراجم اختار رحمة الله عليه تراجم موفقة إما أن تكون عامة، وإما أن تكون خاصة، فتكون عامة كأبواب العبادات ككتاب الصلاة والزكاة والصيام، وتكون خاصة فيبوب للباب بالمسألة الخاصة ويوفق توفيقاً كبيراً لأنه يتأدب مع السنة، وهذه سمة من سمات المحدثين –رحمة الله عليهم–، أنهم كانوا إذا أرادوا أن يترجموا للأحاديث توقفوا في الترجمة، وصاغوها كلفظ الحديث أو قريباً جداً من لفظ الحديث، تأدباً مع سنة النبي –ﷺ–، وهذا والله هو العلم، وهذا هو الفقه أن يقف العالم عند حدود النص ولا يجاوز ذلك بما فيه من التبعة والمسؤولية وزلة القدم، ولذلك وفق رحمة الله عليه في حسن التبويب والتراجم، كما وفق في ترتيب

الأبواب وترتيب الأحاديث حتى في الباب الواحد إن تعددت، وهو كتاب عظيم نسأل الله العظيم أن يعيننا على شرحه، وأن يرزقنا الإخلاص والقبول في جميع ذلك، أما الطريقة التي سنسير عليها ونسأل الله المعونة والتوفيق فنبدأ بقراءة الحديث، ثم الترجمة لراوي الحديث من أصحاب النبي -ﷺ-، لما في تراجم أصحاب النبي -ﷺ- من الفوائد الجمة، والعبر العظيمة، وسير الرجال تحمل العبد على الخير والكمال، ولذلك قال الإمام أبو حنيفة -رحمة الله عليه- : سير الرجال أحب إلينا من كثير من الفقه، فهي تحمل الإنسان على الاهتداء بهديهم، والسير على نهجهم والاقتداء بهم رحمة الله عليهم، وأولئك هم القوم، فذكر سيرة أصحاب النبي -ﷺ- تعين الإنسان على الخير وتحببه إلى قلبه، ولذلك اخترنا أن نترجم للصحابي الذي روى حديث رسول الله -ﷺ-، ثم بعد ذلك نشرع في مضامين الأحاديث مضمون الأحاديث لبيان المعاني وبيان الأحكام والمسائل، فإن كانت المسائل إجماعية فلا خلاف فلا إشكال، وإن كانت خلافية نبين صورة المسألة، وأقوال العلماء والأئمة، ثم نبين أدلتهم ووجه دلالتها، ثم بعد ذلك نبين ما ظهر رجحانه بالدليل، وقد نُعَرج على ثمرة الخلاف في بعض المسائل، وكذلك أيضاً ننبه على بعض الفوائد والآداب التي تشتمل عليها ألفاظ الأحاديث لما في ذلك من الفوائد الكثيرة، لأن حديث رسول الله -ﷺ- اشتمل على آداب الإسلام، وعلى فوائد كثيرة يحسن بطلاب العلم أن يكونوا على إلمام بها، وأوصي بطريقة مهمة يعتني بها طلاب العلم وهي أولاً : حفظ المتن ما أمكن، فيحفظ طالب العلم المتن أو على الأقل يحفظ الحديث قبل أن يجلس في مجلس العلم، ويجتهد أن يقرأ المرة والمرتين والثلاث والأربع، ويكرر من هذه القراءة، فاعلم أن كل حرف لك به حسنة، لأنه من سنة النبي -ﷺ- وتؤجر على ذلك، لأنه عبادة قراءة السنة عبادة، وكذلك أيضاً حفظها عبادة، ولقد قال عليه الصلاة والسلام : ((نضر الله امرأً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها)) نضر الله قال العلماء : من النضارة وهي الحسن والبهاء، ولذلك أهل الحديث وجوههم مشرقة، قال بعض العلماء: نضر الله أي أنهم في الآخرة يحشرون وقد تلألأت وجوههم بنور السنة، وقال بعض العلماء: بل إن وجوههم مشرقة في الدنيا والآخرة، ولذلك إذا وجدت الإنسان حريصاً على السنة وجدت نور السنة في وجهه، ولذلك لما اهتدى الصحابة بهدي النبي ﷺ أثنى الله عليهم وقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فالإنسان إذا اهتدى بهذه السنة وحفظها فإن النبي -ﷺ- قد دعا له بالخير، والأمة بحاجة لحفظ السنة والإلمام بها وضبطها، وينبغي على طالب العلم إذا أراد أن يحفظ حديثاً أن يعتني بضبط لفظ الحديث، ويرجع في ذلك إلى النسخ المعتمدة وحبذا لو يختار شيخاً من أهل العلم يقرأ عليه المتن ويصحح عليه اللفظ، فإذا حضر الإنسان في مجلس العلم إن كان بإمكانه أن يستوعب

جميع ما يقال فلا إشكال، وإن كان لا يستطيع استيعاب المسائل والأقوال والخلافات فيلخص، فيكتب الخلاصة أو على الأقل يكون عنده حفظ لما هو أهم من المسائل، كأن يحفظ القول الراجح بدليله، ولا يُعرج على الأقوال والخلاف إذا كان لا يستطيع أن يضبط ذلك كله، وأستحب لطلاب العلم أن تكون هناك مجالس يراجعون فيها مجالس العلم، فيجلسون كل أسبوع للمذاكرة، وقد كان السلف الصالح يحبون المذاكرة، ويحرصون عليها، ولذلك قال بعض الفضلاء :

واعلم بأن العلم بالمذاكرة والدرس والفكرة والمناظرة

فحياة العلم مذاكرته، فإذا وُجد بعض طلاب العلم ممن عرف بالجد والاجتهاد يجلس الإنسان معه، ويذاكر معه السنة ويضبط معه فهذا مما يعين على ضبط العلم، ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا الإخلاص لوجهه، وأن يجعل ما تعلمناه وعلمناه نافعاً شافعاً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وستكون إن شاء الله بدايتنا في الأسبوع القادم حيث نبدأ إن شاء الله بالكتاب الذي ذكرناه، وإذا كانت هناك أسئلة تتعلق بآداب طلب العلم، وبالكتاب الذي ندرسه فلا حرج، ونسأل الله العظيم للجميع التوفيق والسداد وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الأسئلة :

السؤال الأول : فضيلة الشيخ : هذا يا فضيلة الشيخ السائل سَطَّر سؤاله بحبه لكم، وجميعنا هنا نشاركه في مشاعره ونقول : يعلم الله العلي القدير أننا نحبكم في الله، سؤاله عن الإخلاص : كيف يكون في طلب العلم وكيف نقدر عليه ؟

الجواب : بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ أما بعد :

فأشهد الله العظيم رب العرش الكريم على حبكم فيه، وأسأل الله العظيم أن يجمعنا بهذا الحب في دار كرامته، أما ما سألت عنه –أخي في الله– من الطريق للإخلاص، فنحن ذكرنا أن الإخلاص واجب على طالب العلم، ولكن يسأل سائل كيف السبيل إلى هذا الإخلاص ؟ هناك أمران مهمان يعينان بإذن

الله -عز وجل- على الإخلاص لوجهه : الأمر الأول : كثرة الدعاء فإن الإنسان لا ينال الخير إلا بفضل الله -عز وجل-، فاسأل الله أن يجعلك مخلصاً، وادع الله في سجودك وفي مواضع الإجابة التي ثبتت بها السنة أن يجعلك مخلصاً، وأن ينفعك بهذا العلم .

وأما الأمر الثاني الذي يعين على الإخلاص : فهو كثرة ذكر الآخرة، فإن الإنسان إذا استشعر أن الله سيسأله عن هذا العلم، وأن الله سيحاسبه أخلص لوجه الله -جل جلاله-، والله ما من كلمة تتعلمها أو تعلمها إلا وقفت بين يدي الله -عز وجل-، يسألك هل تعلمتها لوجهه أو تعلمتها لأحد سواه ؟ فمن علم أن الله سائله وأن الله محاسبه فإن ذلك يعينه على الإخلاص لوجه الله -جل جلاله-، كذلك أيضاً يذكر من الآخرة أهوالها وشدائدها، ويعلم أنه لا ينتفع من هذا العلم إلا إذا أراد وجه الله -جل جلاله-، وأن الله يدفع عنه تلك الأهوال والشدائد إذا أخلص في هذا العلم، فيبلغه منازل الصديقين وهم العلماء العاملين بعلمهم، فهذه من الأمور التي تعين على الإخلاص لوجه الله -جل جلاله- . كذلك أيضاً مما يعين على الإخلاص : كثرة قراءة تراجم السلف الصالح، فإنها تعين على انكسار القلوب، وإرادة وجه الله -جل وعلا- في العبادات والطاعات والقرب، كذلك أيضاً مما يعين على الإخلاص الزهد في الدنيا، فإن الإنسان إذا احتقر الدنيا وأهانها جاءته صاغرة ذليلة، ولا يجتمع في قلب إنسان العلم والدنيا، فإما علم يراد به وجه الله، وإما دنيا تأتي على ما هناك، فلا يجتمع إرادة الدنيا وإرادة وجه الله -جل جلاله-، ولذلك قال تعالى في الحديث القدسي : ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)) فيخلص الإنسان لوجه الله -جل جلاله- ويعلم أنه إذا ترك الدنيا أقبل على الآخرة، فهذه من الأمور التي تعين على الإخلاص للعلم، وكلما وجدت الإنسان نزيهاً عفيفاً عن الدنيا معرضاً عنها دون غلو وتنطع كلما وجدته أصدق الناس في العلم، وأصدقهم في ضبطه وتحصيله ونفع المسلمين، وكذلك انتفاعه هو بعلمه الذي يحمله، نسأل الله العظيم أن يبلغنا ذلك . والله -تعالى- أعلم .

فضيلة الشيخ : رجل صلى في بيته ظاناً أن الصلاة في المسجد قد انقضت، ثم تبين له أن الصلاة لم تقم بعد، فهل يجب عليه أن يذهب إلى المسجد ؟

الجواب : هذه المسألة الأصل أن المسلم مطالب بالصلاة في المسجد مع الجماعة؛ لما ثبت في الحديث الصحيح عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه جاءه رجل أعمى فقال : يا رسول الله، إنه تكون الظلمة والسيل والمطر، وليس لي قائد يلاومني -أي يلازمني-، فقال : فهل تجد لي من رخصة يعني أن أصلي في بيتي، فأذن له النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما تولى ناداه وقال له : ((أتسمع النداء ؟ قال : نعم، قال :

أجب فإني لا أجد لك رخصة)) أخذ العلماء من هذا الحديث دليلاً على أنه تجب الصلاة مع الجماعة، ولذلك قال ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– : ((لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر بحطب فيحطب، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عن الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)) فهذا النص يدل على أهمية الصلاة مع الجماعة، ولزومها وتأكد وجوبها، ولذلك حتى من قال بسنيتها قال : سنة مؤكدة ولم يقل : سنة مطلقة، وهذا يدل على تأكد أمرها، وينبغي على الإنسان أن يحرص على الصلاة مع الجماعة، فإن وجد عنده عذر كما في حديث ابن عباس : ((من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر)) إن وجد العذر كالمرض الذي يمنعه من الخروج فحينئذ يعتبر معذوراً ويصلي في بيته، وأما إذا ظن أن الصلاة أقيمت فصلى فقد أدى فريضة الله عليه، فإن شاء أن يمضي إلى المسجد فإنه يمضي، وتكون له نافلة وفضلاً، لأن صلاته هي الأولى، وأما إلزامه بالخروج إلى المسجد فإنما يلزم بالصلاة المفروضة، والدليل على عدم إلزامه حديث ميمونة الصحيح أن النبي –ﷺ– نهى أن تعاد الصلاة مرتين، ولكن من باب الفضل ومن باب الكمال أنه يشهدها، إلا في حالة واحدة وهي : إذا خشي سوء الظن أو حصلت الفتنة في تخلفه كما في حديث أبي ذر في الصحيح : كيف بك إذا كان عليك أمراء يؤخرون الصلاة إلى شرق الموتى، قال : فما تأمرني ؟ قال : صل الصلاة لوقتها، ثم صلها معهم ولا تقل إني صليت، فهذا يدل على أنه يلزمه حينئذ أن يشهد الجماعة في هذه الحالة الخاصة، وأما ما عداها فإن الصلاة غير واجبة عليه . والله –تعالى– أعلم .

فضيلة الشيخ : ومن كان خارج المسجد هل يلزمه الإنصات لخطبة الجمعة ؟

الجواب : إذا كان الإنسان خارج المسجد فإما أن يكون في طريقه إلى الصلاة في يوم الجمعة، وإما أن يكون جالساً لازدحام المسجد في مكان يتهيأ فيه للصلاة، فإن كان في طريقه إلى المسجد فإنه لا يلزمه الإنصات، ويجوز له الكلام والحديث، وأما إذا جلس وتهيأ لصلاة الجمعة بالجلوس فحينئذ يلزمه الإنصات؛ لأنه في حكم من هو بداخل المسجد، ومن هنا فرق العلماء بين من كان خارج المسجد قاصداً أو جالساً، فإن كان جالساً فإنه في حكم المصلي للجمعة، فيستوي أن يكون داخل المسجد أو خارجه، أما إذا كان في طريقه فإنه في هذه الحالة لا يعتبر في حكم من هو بداخل المسجد . والله –تعالى– أعلم .

فضيلة الشيخ : ما هي الشروح لهذا الكتاب المبارك الذي تنصحون للرجوع إليها عند تحضير الدروس ؟

الجواب : من أفضل شروح عمدة الأحكام كتاب الحافظ تقي الدين بن دقيق العيد –رحمة الله عليه–، وهو كتاب : إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام، وهذا الكتاب ميزته أنه يعين على تصور المسائل وضبط مذاهب العلماء –رحمة الله عليهم– في انتزاعهم للحكم من الأحاديث الواردة عن رسول الله –ﷺ– . هناك شرح ثانٍ للكتاب وهو : الإعلام بفوائد عمدة الأحكام للحافظ ابن الملقن، وهو مخطوط وطبع بعضه، وهو من أنفس الشروح وأوسعها، وهو أوسع شروح عمدة الأحكام أوسع من شرح الحافظ تقي الدين، لأن الحافظ ابن دقيق –رحمة الله عليه– أملى كتابه الإحكام في المجلس، ولم يكن قد كتب هذا الكتاب بمعنى أنه ألفه تأليفاً، وإنما كان يمليه إملاءً، وهذا يدل على سعة اتباعه في الفقه والأصول، ومعرفة دلالة النصوص رحمة الله عليه، فإنك إذا قرأت هذا الكتاب وجدت فيه علماً عظيماً، لكن كتاب ابن الملقن الإعلام أوسع وأكثر بسطاً، وميزة الإعلام أنه رحمة الله عليه يُجمل المسائل ثم يفصلها، وقد يتكلم في الحديث الواحد في ثلاثين مسألة، يستنبطها من الحديث الواحد، وهو من أنفس الشروح وأوسعها وأجمعها، ولذلك يعني ممكن أن يرجع إلى كتاب الحافظ تقي الدين بن دقيق العيد، ويستعان أيضاً بعد الله –عز وجل– بشرح الحافظ ابن حجر في الفتح فتأخذ الحديث، وترجع إليه في مظانه في شرح صحيح البخاري . والله –تعالى– أعلم .

السلام عليكم ورحمة الله، يا شيخ كيف أجمع بين العلم وطلب الرزق، إذا كان العمل وقته طويل هل أترك العمل وأطلب العلم، أم كيف أفعل؟ جزاكم الله خيراً.

الجواب : طلب الرزق لاشك أن الإنسان إذا احتسبه كان عبادة، ولذلك قال ﷺ : ((حتى اللقمة يضعها الرجل في فيّ امرأته يكون له بها أجر)) فإذا قصد الإنسان أن يطلب الرزق الحلال، وأن يستعين بهذا الرزق على طاعة الله –عز وجل– ويستعف به عن الحرام فإنه يكون له قربة، وأما بالنسبة للجمع بين طلب العلم والرزق فاجعل للعلم وقتاً معيناً، وقد كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يتناوب مع رجل على مجلس رسول الله –ﷺ–، وهذا يدل على أن الأفضل أن يجمع الإنسان بين الحصول على الكسب الحلال وبين العلم، حتى لا يحتاج إلى الناس ولا يكون عالة على الغير، وإذا كان الإنسان في عفة عن الناس وكان في غناء أعانه ذلك على أن يتفرغ للعلم، خاصة إذا كان من كسبه وكده وعرق جبينه، ولذلك قال ﷺ : ((إن أطيب ما أكلتم من كسبكم)) فالمقصود يهيئ وقتاً مناسباً لطلب العلم، ومجلساً لا يضره في طلب رزقه، ويجعل للرزق وقته، ويجعل للعلم وقته ولو ساعة في الأسبوع . والله –تعالى– أعلم.

فضيلة الشيخ : إذا قطع الإنسان الصلاة في الركعة الثانية لعذر فهل يعيد الصلاة، أم يكمل ما بقي مع الإمام علماً بأنه لم يتأخر أكثر من خمس دقائق ؟

الجواب : إذا قطع الإنسان الصلاة لعذر لا يخلو من حالتين :

الحالة الأولى : أن يكون في صلاة الفريضة، فإذا رجع فإنه يستأنف ويتابع الإمام فيما هو فيه ثم يقضي ما فاته ولا يبني .

الحالة الثانية : أن يكون قطعه في نافلة، فإذا كان في نافلة وقطعها لعذر، ثم بعد ذلك أراد أن يقضي هذه النافلة فهل يجب عليه القضاء أو لا ؟ للعلماء وجهان مبنيان على مسألة أصولية وهي : هل الشروع في النوافل يصيرها فرائض ؟ فمن العلماء من قال : الشروع في النافلة يصيرها فريضة لقوله –تعالى– : ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فإذا أحرم بالصلاة وجب عليه إتمامها، فإذا قطعها فقد قطع صلاة واجبة عليه، فيجب عليه أن يقضي، والصحيح أنه لا يلزم بالقضاء لأن النبي –ﷺ– لما سئل : هل علي غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع . فوصفها بالتطوع وصفاً مطلقاً، وهذا يشمل ما يكون قبل الشروع وبعد الشروع، واستثنيت من هذه المسألة مسألة الحج والعمرة، فإن الحج والعمرة لو أحرم بهما متنفلاً فإنه لا يقطعهما بإجماع العلماء؛ وذلك لقوله –تعالى– : ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ومن هنا قال العلماء: من أحرم بالحج أو أحرم بالعمرة ثم قال : قطعت حجي وقطعت عمرتي ولم يطف ولم يسع، أو طاف ثم قال : لا أريد أن أتم العمرة ورجع إلى ثيابه فلا يزال محرماً حتى يؤدي حجه، ويؤدي عمرته، فإن فاته الحج تحلل بعمرة وعليه الدم، ثم يقضي من عام قادم، وأما إذا كان في عمرة فإنه يلزمه ضمان ما وقع فيه من المحظورات، فإن جامع أهله فسدت عمرته، ثم يذهب ويتم العمرة الفاسدة، ثم يأتي بعمرة جديدة وهو قول جمهور العلماء . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه وآله وصحبه أجمعين .